مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

الكوارث الطبيعية في اليمن من بداية القرن ٩هـ/ ١٥م وحتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٣م وأثرها على المجتمع(*)

أ.د/ سعيد ناجي غالب قائد اسكندر
أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب
جامعة تعز- اليمن
sskander.2018@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 7/9/2023 تاريخ قبوله للنشر 2/11/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الكوارث الطبيعية في اليمن من بداية القرن ٩هـ/ ١٥م وحتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٣م وأثرها على المجتمع

أ.د/ سعيد ناجي غالب قائد اسكندر
أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب
جامعة تعز- اليمن

الملخص

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على موضوع الكوارث الطبيعية في اليمن منذ من بداية القرن ٩هـ/١٥م وحتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٣م، والتي ضربت العديد من مناطق ومدن اليمن بين الفينة والأخرى، وكان لها بالغ الأثر على السكان في مختلف النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والديموغرافية، بل كان لها تأثيراتها النفسية والمعنوية على المجتمع.

استقى البحث مادته العلمية بشكل رئيسي من المضان التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، ولاسيما منها التي عاصرت المرحلة المدروسة، مسترشدا بالمنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي في بناء البحث.

الكلمات المفتاحية: اليمن، الكوارث، الرسولية، الطبيعية

Natural disasters in Yemen from the beginning of the 9th century AH/15AD until the fall of the Rasulid state in the year 858AH/1453AD, and their impact on society

Dr. Saeed Naji Ghaleb Qaed Iskandar
Professor of Islamic History, Faculty of Arts
Taiz University, Yemen

Abstract

This research seeks to shed light on the issue of natural disasters in Yemen from the beginning of the 9th century AH/15AD until the fall of the Rasulid state in the year 858AH/1453AD, which struck many regions and cities of Yemen from time to time, and had a profound impact on the population in various social and economic aspects. Urbanism and demographics, and even had psychological and moral effects on society.

The research derived its scientific material mainly from historical literature, class books, and biographies, especially those that lived through the period studied, guided by the descriptive historical approach and the analytical approach in constructing the research.

Keywords: Yemen, Disasters, Apostolic, Natural.

مقدمة:

شكلت الكوارث الطبيعية إحدى المعضلات الكبرى التي هددت حياة المجتمع اليمني في العصر الوسيط "عهد الدولة الرسولية"، وذلك بفعل ما تحدثه من أضرار كبيرة على كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والديموغرافية بل وحتى على المستوى السياسي، ونظرًا للازدهار الكبير والنهضة التي عرفتها اليمن أثناء حكم الدولة الرسولية، فقد كان تركيز معظم الباحثين على الجوانب المشرقة في عهد هذه الدولة، ولا سيما الجوانب السياسية والاقتصادية والعلمية والعمرانية، بينما أُغفِلت بعض الجوانب، ولم تعطَ حظها في البحث والتنقيب، لاسيما في الجانب الاجتماعي، وما تعرض له المجتمع من كوارث طبيعية وأمراض وأوبئة هددت الانسان اليمني في العصر الوسيط وكادت تعصف بحياته بين الفينة والأخرى.

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على الكوارث الطبيعية والبيئية التي حلت في اليمن، وتحديدًا في الربع الأخير من فترة حكم الرسوليين في اليمن (٨٠٠-٨٥٨هـ/١٣٩٧- ١٤٥٣م)[١]، وما خلفته تلك الكوارث من أضرار ومعاناة كبيرة للمجتمع اليمني في تلك المرحلة؛ مستندين في بحثنا على ما ورد في بطون المصادر التاريخية التي عايشت العهد الأخير من حكم الدولة الرسولية، معتمدين المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي في استنطاق وتحليل النصوص المصدرية ذات الصلة بموضوع البحث.

ولمقاربة هذا الموضوع؛ فقد تم تقسيمه إلى محورين رئيسيين، المحور الأول تحدثنا فيه عن الكوارث الطبيعية من بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وحتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٣م، والمحور الثاني ناقشنا فيه أبرز نتائج تلك الكوارث وتأثيرها على المجتمع اليمني، ودور الدولة في التخفيف من آثار تلك الكوارث.

(١) تجدر الإشارة أنه سبق ونشرنا بحثًا بعنوان: **الكوارث الطبيعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية (القرن ٨هـ/١٤م نموذجا)**، وقد نشر البحث في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، المجلد (١٢)، العدد (٣)، ديسمبر ٢٠٢١، كما أننا قيد النشر لبحث آخر يتحدث عن الكوارث الطبيعية منذ نشأة الدولة الرسولية وحتى نهاية القرن السابع الهجري، بحيث نكون قد غطينا المرحلة الزمنية الكاملة لفترة حكم الدولة الرسولية في اليمن.

المحور الأول: الكوارث الطبيعية أواخر العهد الرسولي (٨٠٠-٨٥٨هـ/١٣٩٧-١٤٥٣م)

تعددت الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها العديد من مدن ومناطق اليمن منذ بداية القرن ٩هـ/١٥م وحتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٣م[٢]، وسنحاول في هذا المحور تتبع تلك الكوارث، ورصد توقيت وقوعها، وترتيبها كرنولوجيًا، حتى يتسنى لنا رسم صورة واضحة عنها؛ تساعدنا لاحقًا- في المحور الثاني- على استخلاص أهم النتائج المترتبة على تلك الكوارث وتأثيرها على المجتمع اليمني، ويمكن عرض أبرز تلك الكوارث على النحو الآتي:

---

(٢) حكم الدولة الرسولية في هذه المرحلة ستة من السلاطين- إضافة إلى بضع سنوات من حكم الأشرف اسماعيل بن العباس الذي حكم من (سنة ٧٧٨- ٨٠٣هـ/١٣٧٦-١٤٠٠م)- وهؤلاء السلاطين هم: السلطان الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل، والذي حكم من سنة ٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٤م، ثم ابنه السلطان المنصور عبدالله بن الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل، الذي حكم من سنة ٨٢٧- ٨٣٠هـ/ ١٤٢٤-١٤٢٧م، ليخلفه أخوه السلطان الأشرف إسماعيل بن الناصر أحمد ٨٣٠هـ/١٤٢٧م، ثم خلفه عمه السلطان الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل الذي حكم من سنة ٨٣٠- ٨٤٢هـ/ ١٤٢٧-١٤٣٨م، ليخلفه ابنه السلطان الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى من سنة ٨٤٢-٨٤٥هـ/١٤٣٨-١٤٤٢م، ليتولى الحكم بعده ابن عمه السلطان المظفر يوسف بن المنصور عمر بن الأشرف إسماعيل بن العباس، الذي حكم سنة واحدة من سنة ٨٤٥-٨٤٦/١٤٤٢-١٤٤٣م، فخلفه آخر سلاطين بني رسول، وهو السلطان المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف بن الناصر أحمد الذي حكم من سنة ٨٤٦- ٨٥٨هـ/ ١٤٤٣-١٤٥٤م.

وتجدر الإشارة إلى أن البلاد قد عرفت في عهد هؤلاء السلاطين- باستثناء فترة حكم الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل، والذي حكم من سنة ٨٠٣-٨٢٧هـ/ ١٤٠٠-١٤٢٤م- تراجعًا كبيرًا، بل يمكن القول إنما كانت بداية النهاية لاحتضار الدولة الرسولية وأفول نجمها، إذ برز ضعف الدولة وعدم استقرار الأوضاع فيها من خلال قصر فترات الحكم، حيث لم يستقر أغلب السلاطين على العرش سوى لفترة قصيرة، باستثناء الظاهر يحيى لمدة ١١ سنة، والمسعود الذي حكم ١٢ سنة كانت مليئة بالأحداث الجسام، كما يظهر ضعف الدولة في تفاقم المشكلات وكثرة التمردات والثورات والصراعات الأسرية، ويظهر ذلك الضعف أيضًا في كثرة ظاهرتي العزل والموت المبكر لسلاطين القرن التاسع الهجري، عكس نظرائهم حكام القرن الثامن والسابع الهجريين، كذلك تولي بعض السلاطين الحكم وهم في سن صغيرة كالمنصور عبدالله، والأشرف إسماعيل بن الناصر، والمظفر يوسف...الخ. مجمل تلك الظواهر تؤكد الخلل الكبير الذي أصاب كيان الدولة الرسولية، وهو الأمر الذي عجل بسقوط الدولة ونهايتها سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٣م. للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: **تاريخ الدولة الرسولية:** لمؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٩٨٤، ص١٣١، ١٣٣، ٢٠٧، ٢٠٩، ابن الديبع (أبي الضياء عبدالرحمن بن علي تـ ٩٤٤هـ): **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦، ص١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩، ١١١، ١١٤، ابن الديبع (أبي الضياء عبدالرحمن بن علي تـ٩٤٤هـ)، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص٤٦٩-٤٩٢، الكامل (محمد أحمد): **موجز تاريخ اليمن في العصر الإسلامي حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية**، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص٢٧٨-٢٨٢، هديل (طه حسين عوض): **التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها في الحياة العامة في اليمن**، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٢١٥-٢٢٥.، محمد سعيد: **الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول(٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)**، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بتونس، جامعة تونس الأولى، العام الجامعي ١٩٩٧-١٩٩٨، ص١٢٩-١٣٠.

أولًا: كارثة السيول والأمطار الغزيرة:

ترجع أول إشارة مصدرية تتحدث عن كارثة السيول الناجمة عن تساقط أمطار غزيرة إلى سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م، إذ يذكر المؤرخ الخزرجي أن أمطارًا غزيرة هطلت على مدينة زبيد ونواحيها طوال يوم الجمعة ٢٤ من شهر ذي القعدة سنة ٨٠٢هـ/ ١٧ يوليو ١٤٠٠م[٣]، مما أدى إلى إلحاق أضرار كبيرة في بيوت الناس، كما أتلفت سيول وادي زبيد- الناتجة عن تلك الأمطار- "**ثمرة النخيل إتلافًا شديدًا**"[٤]، وفي العام التالي - سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م-، تعرضت مدينة المهجم في تهامة إلى أمطار متتابعة حتى أنها ألحقت أضرار بالغة بمقابر المدينة وأتت على قبور بعض الصالحين المدفونين فيها حسب بعض الروايات[٥].

ويستمر تساقط الأمطار الغزيرة التي كانت تعتاد المدن اليمنية بين الفينة والأخرى مسببة العديد من الكوارث، إذ تذكر بعض المصادر أن مدينة زبيد تعرضت نهار يوم الجمعة ٢٦ من شهر شوال سنة ٨٠٨هـ/١٦ ابريل ١٤٠٥م، لـ "**مطر عظيم ...أخرب بيوتا كثيرة**"[٦].

ومن الأمطار المشهورة التي أصابت مدينة زبيد ونجم عنها سيول متدفقة سببت كوارث هائلة؛ مطرة سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، إذ يذكر المؤرخ بن الديبع أن في هذه السنة "**كثر المطر ووقع في مدينة زبيد مطرة عظيمة، وأهلها يومئذٍ في النخل، فخرب من بيوتها فوق السبعين... وسال وادي زبيد نيفا وستين يوما متصل الأيام والليالي، لم ينقطع ساعة واحدة**"[٧].

ثانيًا: الجفاف والجدب وانتشار المجاعات:

إذا كانت اليمن في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي قد تعرضت لأمطار غزيرة زادت عن قدرها وسيول جارفة سببت كوارث وأضرارًا مادية وبشرية كبيرة، فإنها بالمقابل قد مرت بحالات من

(٣) يذكر الخزرجي أن المطر استمر من طلوع الشمس إلى أذان عصر ذلك اليوم، حتى أن كثيرًا من الناس لم يتمكن من أداء صلاة الجمعة، إذ لم يزد عدد من حضر إلى جامع زبيد عن بضع وثلاثين رجلا فصلى بعضهم الظهر، ولما جاوزوا الأربعين في وقت لاحق أدوا صلاة الجمعة وإن كان وقتها قد مضى. انظر الخزرجي (علي بن الحسن ت٨١٢هـ): **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الجزء الثاني، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ص٢٥٦-٢٥٧.

(٤) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، الجزء الثاني، م.س، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٥) من القبور التي كشفت بسبب غزارة الأمطار في مدينة المهجم قبر الفقيه الصوفي أبو عبدالله محمد بن إسحاق الحضرمي الذي كان قد توفي ودفن في داره بمدينة المهجم سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وبعد ستة أشهر من وفاته ومع قوة الأمطار التي سقطت في تلك السنة انتبش قبره. للمزيد انظر: الشرجي (أبي العباس احمد بن احمد بن عبداللطيف الزبيدي ت ٨٩٣هـ): **طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص**، الدار اليمنية للنشر والتوزيع+ دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص٢٣٤- ٣٣٥.

(٦) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٤٤.

(٧) ابن الديبع (عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر ت ٩٤٤هـ): **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦، ص١٠٦.

الجفاف والجدب وغيرها من الكوارث، نتج عنها غلاء في الأسعار وانتشار للمجاعات، بل وصل الحال أحيانا إلى موت جموع من الناس نتيجة تلك الكوارث.

ففي بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وتحديدا سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م حدث غلاء فاحش في أسعار المواد الغذائية، وهو ما أكده المؤرخ الخزرجي بقوله "**ارتفعت الأسعار في زبيد فبلغ سعر الذرة والدخن كل زبدي بدرهم. وعبرة الزبدي خمسون اوقية حبا. الأوقية عشر قفال بالختم المصري. وبلغ زبدي السمن بعشرة دنانير وعبرة زبدي السمن اثنا عشر رطلاً كل رطل عشرون أوقية وبلغ سعر البر كل زبدي بدرهم ونصف وكان الوزن كل زبديين بدرهم وقل الدر في الدواب**"(٨).

وتذكر المصادر أن سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م عرفت غلاءً فضيعاً شمل سائر البلاد أدى إلى موت كثيرٍ من ضعفاء الناس(٩)، ولم تمر فترة كبيرة على حدوث هذه الشدة، حتى تعرض اليمن في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢٠م إلى "**جوع شديد**"(١٠)، لم يُعهد من قبل، كما عرفت سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م جدبًا عامًا (١١)، كانت مآلاته كارثية على المجتمع، حتى أن المؤرخ الأهدل صور حال الناس والسوء الذي لحقهم جراء ذلك الجدب بالقول: "**وأكل القوي الضعيف لضعف السلطان وظهر الضرر**"(١٢)، وتعرضت مدينة زبيد وما يليها من المناطق سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م إلى "**جوع عظيم، وغلاء شديد**"(١٣).

وتوالت الكوارث على المجتمع اليمني في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، فبالإضافة إلى كارثة الجدب والجفاف وما سببته من جوع وغلاء في الأسعار، ظهر في بعض السنوات الجراد الكثيف الذي التهم المحاصيل الزراعية ودمر اقتصاد الناس، واستمرت جائحة الجراد تتعاهد البلاد بين الفينة والأخرى، وتعود آخر إشارة جادت بها علينا المصادر حول كارثة الجراد إلى سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، إذ انتشر الجراد في هذه السنة بشكل كبير حتى عم "**الحجاز واليمن**"(١٤).

---

(٨) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، الجزء الثاني، م.س، ص٢٥١.

(٩) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(١٠) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١٠١.

(١١) الأهدل (بدر الدين أبي عبدالله الحسين بن عبدالرحمن بن محمد ت ٨٥٥هـ): **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ص٥٢٧.

(١٢) الأهدل، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٢٧.

(١٣) يتحدث ابن الديبع عن هذه السنة فيسميها: **."سنة محرر"**. ثم يمضي قائلا: **وهذه السنة التي يؤرخ بها الآن عوام أهل زبيد، فيقولون سنة الجوع، وقد حصل في الدولة الناصرية جوع عظيم، وتعرف بسنة أحمد وبسنة قميع"**. راجع: **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١١٦.

(١٤) الأهدل، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٣٢.

ثالثًا: كارثة الحرائق:

يعد الحريق من أخطر الكوارث التي تعاهدت العديد من المدن اليمنية والقرى والأحياء في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وألحقت بها أضرار بالغة على كل النواحي البشرية والمادية والنفسية، ونحن حين نتحدث هنا عن كارثة الحريق، سنقتصر فقط على كارثة الحريق التي منشأها طبيعي؛ إما بسبب الإهمال واللامبالاة من طرف المجتمع، أو بسبب رياح تهب في بعض الأحيان فتبعثر النار وتنقلها من مكان إلى آخر فتنشب عنها حرائق، ولن نتحدث عن الحريق الذي ينشأ بفعل الصراعات السياسية والحروب العسكرية.

وتعود أول إشارة مصدرية تحدثت عن كارثة الحريق في هذا القرن إلى المؤلف المجهول؛ الذي أشار إلى حدوث حريق عظيم أصاب مدينة زبيد ليلا في شهر شوال سنة ٨٠٨هـ/ مارس ١٤٠٦م[١٥]، وتتكرر مأساة الحريق مرة ثانية بعد ذلك بعامين، فقد ذكر المؤلف نفسه أنه في يوم الـ ٢٦ من شهر المحرم سنة ٨١٠هـ/٣ يوليو ١٤٠٧م، تعرضت مدينة زبيد لـ "**حريق عظيم**"[١٦].

والجدير ذكره أن المصادر– المتوفرة لدينا– توقفت بعد هذا التاريخ تماما، ولم نجد لها أية إشارات عن الحريق التي كانت تشب في المدن اليمنية بين الفينة والأخرى، وما ذكرته بعض المصادر[١٧]، بعد ذلك كان عبارة عن إشارات متفرقة، تحدثت عن نار ظهرت في جزر وجبال ساحلية ولها دخان، وتُرى من أمكنة بعيدة، والظاهر إن تلك النيران كانت عبارة عن براكين اشتعلت وأحدثت هزات عنيفة وسمع لها أصوات مفزعة على مسافات بعيدة، وهذه البراكين سنناقشها في متن هذا البحث لاحقا عند حديثنا عن كارثة الزلازل والبراكين، لتصمت المصادر بعد هذا التاريخ، ولم نجد أية إشارة حول الحرائق والنيران في أية مدينة يمنية حتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٣م.

رابعًا: كوارث الرياح والغبار والبرق والغرق:

يُلاحظ من خلال الوقوف على المصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، أن هناك كوارث أخرى ألحقت أضرارًا كبيرة بالناس وممتلكاتهم، كان جزء منها مرافقا للكوارث التي سبق الحديث عنها، والجزء الآخر يعد نتاجًا لها.

---

(١٥) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٤٤.

(١٦) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٤٨.

(١٧) الأهدل، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٣٢– ٣٥٥، المؤلف المجهول، م.س، ص٢٦١–٢٦٢، ابن الديبع، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، م.س، ص٤٨١.

ومن الكوارث التي عادة ما تكون متزامنة مع الكوارث السالفة الذكر؛ العواصف والرياح والرعود الشديدة والبرق والغرق، ففي هذا الشأن تذكر المصادر أن رياحًا شديدة هبت في سنة ٨٣٣هـ/١٤٣٠م، تسببت في وفاة القاضي عمر بن العلامة صفي الدين أحمد بن عبدالله الكاهلي وذلك أثناء سفره إلى مكة، إذ انكسرت الجلبة التي ركب فيها البحر فتوفي غريقا شهيدا قبل الحج(١٨)، وفي شهر القعدة سنة ٨٣٣ هـ/يوليو ١٤٣٠م تعرض الركب الشامي في طريق الحجاز إلى "**ريح سموم هلك فيها أكثر الركب**"(١٩).

وظلت الرياح الشديدة والعواصف تهب بين الفينة والأخرى ملحقة أضرارًا بالناس وممتلكاتهم، ومن ذلك ما حدث لمدينة حيس في تهامة أواخر سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م(٢٠)، وتذكر بعض المصادر أنه في شوال سنة ٨٥٧هـ/اكتوبر ١٤٥٣م، غرقت سفينة "**بين البقعة والحديدة، ولم ينج من أهلها أحد سوى البحارين، وامرأة واحدة**"(٢١).

وتعد كارثة البرق من أقل الكوارث الطبيعية التي أشارت إليها المصادر في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ففي هذا الصدد عرفت اليمن سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، صواعق شديدة وبرق لقى على أثرها الشيخ عبدالباقي الحبيشي حتفه مع جارية له وأحد خدمه(٢٢).

خامسًا: كوارث الزلازل والرجفات والبراكين:

من خلال استعراض المصادر التي بين أيدينا؛ تبين أن الزلازل والرجفات والبراكين التي ضربت مناطق متفرقة من اليمن في العصر الرسولي في الفترة المدروسة؛ كانت نتائجها كارثية- وإن كانت نادرة-.

ومن أقدم الإشارات المصدرية التي تحدثت عن الزلازل والرجفات التي ضربت اليمن في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي؛ تلك التي حدثت في يوم ٢٥ جماد الثانية سنة ٨٠٢هـ/٢٢ فبراير ١٤٠٠م، إذ أكد المؤرخ الخزرجي أن في ذلك اليوم "**وقعت رجفة عظيمة...فانهدمت حينئذ مواضع كثيرة في الجبال**"(٢٣)، وبعد أقل من شهرين، وتحديدا يوم الاثنين العاشر من شعبان سنة٨٠٢هـ/٦

(١٨) البريهي (عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي): **طبقات صلحاء اليمن**، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤، ص٩٥-٩٦.

(١٩) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص٢٣١.

(٢٠) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص٢٨٢.

(٢١) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١١٦.

(٢٢) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، الجزء الثاني، م.س، ص٢٤٢.

(٢٣) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، الجزء الثاني، م.س، ص٢٥٤.

ابريل ١٤٠٠م "**حصلت رجفة شديدة**" أيضًا في رأس وادي زبيد؛ حتى أن أحد عمال النخل كاد أن يسقط من أعلى النخلة من شدة الرجفة حسب الخزرجي(٢٤).

وتذكر بعض الروايات أن "**زلازل عظيمة**" حصلت "**في الجبال**"(٢٥)، في شهر رمضان سنة ٨١٦هـ/ديسمبر ١٤١٣م، أدت إلى تهدم "**برج من حصن الخضراء وانشقت بركة وسال ما فيها من الماء**"، والظاهر أن تلك الزلازل استمرت بعد رمضان، حتى أنها آتت في شهر شوال سنة ٨١٦هـ/ديسمبر ١٤١٣م على "**حصون كثيرة في بلاد حمير منها حصن الصفراء وغيره**"(٢٦).

ويعد زلزال يوم الإثنين ١٩ رمضان سنة ٨٣٥هـ/٢٠ مايو ١٤٣٢م، من أقوى الزلازل التي ضربت عموم البلاد اليمنية، فقد عمت "**أكثر البلاد في اليمن وأحس بها أكثر الناس**"(٢٧).

والظاهر أن ذلك الزلزال كان بركانًا كبيرًا اشتعل في بعض الجبال المحيطة بالسواحل وسبب تلك الهزات أو الزلازل، وهو ما تحدث عنه عدة مصادر وبتفاصيل مختلفة أحيانا، فنجد المؤلف المجهول يتحدث عن نار خرجت "**من جبل كمران وكانت تأكل حجارة الجبل كما تأكل النار الحطب وكان لهذه النار صوت عظيم يشابه الريح القوية عند التهابها في حجارة الجبل ولا زال الجبل يضمحل وحجارته تتساقط نارا إلى البحر فاذا انطفت صارت جفافا وخرجت إلى الساحل تطفو على الماء حتى فني الجبل ثم انتقلت النار إلى جبل أخر قريبا من ذلك الجبل ولا زالت تفعل فيه النار حتى فني أيضًا ذلك الجبل ودامت هذه النار في النصف من شهر شعبان سنة ٨٣٦**"(٢٨).

والأمر ذاته نجده عند المؤرخ الأهدل الذي أورد نصًا مطولًا مفاده أنه في شهر جمادي الأخرة من سنة ٨٣٥هـ/فبراير ١٤٣١م "**احترق جبل في البحر بين كمران ودهلك ظهرت فيه نار ودخان وربما كانت قواصف رائعة لمن سمعها، أخبرني الثقة أنها سمعت من اللحية وكأنها من تساقط حجارته في البحر، وكان دخانه يرتفع ويرى من نواحي سردد كالسحاب المركوم ولما أبادت جميعه ظهرت في جبل أخر**

(٢٤) أورد الخزرجي هذه الحادثة رواية عن الفقيه "تقي الدين عمر بن أحمد بن عبدالواحد". انظر: **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، الجزء الثاني، م.س، ص٢٥٥.

(٢٥) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٢٦) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٢٧) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص٢٤٩.

(٢٨) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص٢٦١-٢٦٢.

من تلك الأجبل وهي سبعة تسمى الأبعل جمع بعل بفتح الباء وسكون العين المهملة"(٢٩)، كما يذكر المؤرخ الأهدل أيضًا أن مناطق" سردد وزبيد والتهايم والجبال" قد تعرضت لزلزالٍ آخر في سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م(٣٠)،

وبعد ذلك التاريخ بسنتين؛ يذكر المؤرخ نفسه- الأهدل- أنه في شهر صفر من سنة ٨٣٨هـ/سبتمبر ١٤٣٤م" **ظهرت النار في جبل من الأبعلة المتقدم ذكرها، وكان يسمع دويها من أمكنة بعيدة على السواحل كاللحية والجردة وما قاربها من البراري وكان يجتمع سحابها كالدخان الكثيف ودام ذلك أياما**"(٣١)، ويضيف المؤرخ الأهدل أيضًا أنه بعد هذا التاريخ بعام واحد، وتحديدا في المحرم سنة ٨٣٩هـ/يوليو ١٤٣٥م " **ظهرت النار في جبل آخر من الأبعلة وفعلت نحو ما تقدم**"(٣٢)

المحور الثاني: نتائج الكوارث الطبيعية وموقف الدولة منها

استنادًا على الإشارات المصدرية التي عالجت الكوارث الطبيعية في المحور السابق، سنحاول في هذا المحور الوقوف على أهم النتائج التي ترتبت عن تلك الكوارث، والأضرار التي لحقت المجتمع اليمني على جميع المستويات، وموقف الدولة من تلك الكوارث، ويمكن حصر أبرز تلك النتائج على النحو الآتي:

أولا: النتائج على المستوى الاقتصادي

مما لا شك فيه أن الوضع الاقتصادي في اليمن قد تضرر كثيرا بفعل الكوارث الطبيعية التي حلت بالبلاد، ولأن اقتصاد الناس حينها كان يعتمد بشكل رئيسي على الزراعة والثروة الحيوانية ثم التجارة، فإن هذه الأنشطة قد تضررت كثيرًا بسبب تلك الكوارث، ويمكن استعراض أبرز الأضرار التي لحقت بتلك الأنشطة على النحو الآتي:

---

(٢٩) الأهدل، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٣٢، وقارن أيضًا صاحب قرة العيون الذي يؤكد وقوع تلك الحادثة سنة ٨٣٥هـ، ويورد تفاصيلها قائلًا وفي "**سنة خمس وثلاثين احترق جبل في البحر بين كمران ودهلك ظهرت فيه نار ودخان وربما سمعت قواصف رائعة لمن سمعها أخبر الثقة أنها سمعت من اللحية وكان دخانه يرى من نواحي سردد كالسحاب المركوم ولما احترق جميعه ظهرت النار في جبل آخر من تلك الأجبل وهي سبعة وتسمى الأبعلة ولا شك أن ذلك من آيات الساعة**" انظر ابن الديبع، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، م.س، ص٤٨١.

(٣٠) لم يجزم الأهدل في تحديد الشهر ولا المكان الذي حدث فيه زلزال سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م، فقد أورد في النص "**شهر ربيع الاخر أو جمادى الأولى**" كتواريخ للزلزال الذي حصل "**في سردد وغيره وفي التهايم والجبال**"، ثم عاد ليقول "**وقيل ذلك في شهر رمضان بزبيد وغيرها**" انظر **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٣٢.

(٣١) الأهدل، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٣٣.

(٣٢) الأهدل، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٣٥.

تدهور الزراعة والجانب الفلاحي: إن المتتبع للمصادر التاريخية يلاحظ أن هذا القطاع قد شهد تدهورًا كبيرًا، وجُرِفت الكثير من الأراضي نتيجة تلك الكوارث، ، فالأمطار الغزيرة التي سقطت على مدينة زبيد ونواحيها طوال يوم الجمعة ٢٤ من شهر ذي القعدة سنة ٨٠٢هـ/١٧ يوليو ١٤٠٠م، ألحقت في ثمار النخيل الضرر وأتلفته "**إتلافاً شديداً**"(٣٣)، كما تعرضت اليمن سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م، إلى "**جدب عام**" ألحق أضرارًا بالغة بكل فئات المجتمع(٣٤)، واستمرت المحاصيل الزراعية والفلاحية تتعرض للجوائح المختلفة، ففي سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، "**ظهر جراد عظيم في البلاد عم الحجاز واليمن**"(٣٥)، أتلف محاصيل تلك السنة.

والأمر ذاته بالنسبة للثروة الحيوانية؛ (جمال، خيول، حمير، أغنام، أبقار) باعتبارها مصدر رئيسي لمعيشة الناس ووسيلة مهمة في تنقلاتهم، فهذه الثروة تعرضت بين الحين والآخر إلى أضرارٍ كبيرة وراح جزء منها بفعل الكوارث الطبيعية (سيول أمطار، حرائق، قحط، زلازل، الخ)، وهو ما تؤكده المصادر المتوفرة بين أيدينا، وتجدر الإشارة إلى أن ما تعرضت له بلاد اليمن من بلاء وأمراض في رجب سنة ٨١٦هـ/سبتمبر ١٤١٣م، لم تسلم منه الحيوانات، إذ أصاب "**الخيل والدواب عاهة وفنيت أكثر الخيل والدواب في سائر البلاد**"(٣٦)، كما شهد شهر ذي القعدة سنة ٨٣٣هـ/يوليو ١٤٣٠م "**ريح سموم**" لحقت الركب الشامي وهو في طريقه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فأهلكت مجمل "**الجمال والدواب**"(٣٧)، التي كانوا يستقلونها.

وأما الجانب العمراني والتجاري وتدمير البنى التحتية؛ فمن خلال تتبعنا للمصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، نجد أن الخسائر في هذا الجانب نتيجة الكوارث الطبيعية- وخاصة كوارث سيول الأمطار والحرائق والزلازل- لم يسلم منها جل الناس، فبفعل المطر الغزير الذي حصل في زبيد نهار يوم الجمعة ٢٦ من شهر شوال سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م، دمرت "**بيوتا كثيرة**"(٣٨)، كما يذكر المؤرخ ابن الديبع

(٣٣) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، الجزء الثاني، م.س، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٣٤) لا شك أن ذلك الجدب قد أثر على كل فئات المجتمع وهو ما يظهر من قول المؤرخ الأهدل "**وأكل القوي الضعيف لضعف السلطان وظهر الضرر**". انظر: **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٢٧.

(٣٥) الأهدل، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٣٢.

(٣٦) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٣٧) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص٢٣١.

(٣٨) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٤٤.

أن كثرة المطر في مدينة زبيد سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، ألحق بالمدينة أضرارا كبيرة، " **فخرب من بيوتها فوق السبعين بيتا، ما عدا الجدرات والأسعاف والخوص، ولم يبق بيت إلا حصل فيه الخراب**"(٣٩).

وتضررت مدينة زبيد كثيرًا بسبب حريق شوال سنة ٨٠٨هـ/ مارس ١٤٠٦م، فقد "**أحرق فيها بيوتًا كثيرة وراح للناس أموال جزيلة**"(٤٠)، كما تعرضت لحريقٍ آخر في ٢٦ محرم سنة ٨١٠هـ/ ٣ يوليو ١٤٠٧م، فقد الناس فيه "مالًا عظيمًا" "**لا يُحصى كثرة**"(٤١).

والجدير ذكره أن "**زلازل عظيمة**" وقعت "**في الجبال**"(٤٢)، في شهري رمضان وشوال سنة ٨١٦هـ/نوفمبر – ديسمبر ١٤١٣م، أدت إلى تهدم "**برج من حصن الخضراء**"(٤٣)، وانشقاق بركة مائية وتسرب "**ما فيها من الماء**"، فضلا على أنها أحدثت خراباً واختلالا لـ"**حصون كثيرة في بلاد حمير منها حصن الصفراء وغيره**"(٤٤).

ومن أبرز مظاهر الأزمة الاقتصادية التي أصابت المجتمع اليمني في أواخر العهد الرسولي جرّاء تلك الكوارث الطبيعية؛ الغلاء الفضيع وارتفاع الأسعار، وما نتج عنهما من انتشار للفقر وحدوث المجاعات، ومن خلال الوقوف على المصادر التي بين أيدينا؛ نلاحظ أن الأسعار ارتفعت في بعض السنين بشكل كبير، ففي هذا الصدد يذكر المؤلف المجهول أن سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م عرفت غلاءً فضيعاً شمل سائر البلاد أدى إلى موت كثير من الناس(٤٥)، كما "**حصل في اليمن غلاء عظيم وجوع شديد**" سنة ٨٢٤هـ/١٤٢٠م(٤٦)، ويذكر ابن الديبع أن سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، قد عرفت لدى الناس "**بسنة محرر**" "**وسنة الجوع**"، نظرا لتعرض مدينة زبيد وما يليها لـ"**جوع عظيم، وغلاء شديد**"(٤٧).

---

(٣٩) **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١٠٦.

(٤٠) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٤٤.

(٤١) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٤٨.

(٤٢) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٤٣) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٤٤) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٤٥) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٤٦) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١٠١.

(٤٧) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١١٦.

ثانيا: النتائج على المستوى الاجتماعي والنفسي

لا ريب بأن الحياة الاجتماعية قد تأثرت وتضررت كثيرًا نتيجة الكوارث الطبيعية التي حلت في البلاد، فالجدب والغلاء وكوارث سيول الأمطار والحرائق أحدثت هزة اجتماعية ونفسية كبيرة للمجتمع، اضطربت على إثرها حياة الناس، وانتشر الفقر والمجاعات في المدن والبوادي، وتشردت الأسر واضطر الكثير إلى النزوح إلى أماكن أخرى، ولا سيما المعدمين وضعفاء الناس، وفارق بعضهم الحياة نتيجة تلك الكوارث.

وبالعودة إلى المصادر التاريخية؛ نجد أن المجتمع اليمني مر بشدة بالغة في بعض السنوات، وتذكر بعض الروايات أنّ كثيرا **"من ضعفاء الناس"**(٤٨)، لاقى حتفه بسبب الجوع والغلاء الفاحش والحوادث العظيمة التي مرت بها سائر بلاد اليمن سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، ويصف أحد المؤرخين ما حل بالناس من جوع وشدة في هذه السنة فيقول " **وقد حصل في الدولة الناصرية جوع عظيم، وتعرف بسنة أحمد وبسنة قميع**"(٤٩)، ومع حلول سنة ٨٢٤هـ/١٤٢٠م، تعرضت البلاد إلى **"غلاء عظيم وجوع شديد"**(٥٠) وتدهورت الحالة المعيشية للمجتمع اليمني وعم البؤس والجوع، وتوسعت رقعة الفقر، حتى قيل أن أحد الصالحين وهو الفقيه شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم بن عجيل "**أطعم في أحد الليالي ثلاثة آلاف نفس**"(٥١).

واستمر المجتمع يتلقى النكبات والكوارث بين الفينة والأخرى، ففي سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م تعرضت البلاد لـ**"جدب عام"** كانت مآلاته كارثية على الناس، لا سيما اذا علمنا أنه تزامن مع ضعف السلطة القائمة حينها، وهو ما عبر عنه المؤرخ الأهدل بقوله "**وأكل القوي الضعيف لضعف السلطان وظهر الضرر**"(٥٢)، كما تعرضت البلاد لرياح وعواصف شديدة سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م تأذى منها الناس كثيرا(٥٣).

---

(٤٨) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٤٩) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، ص١١٦، والمقصود بالدولة الناصرية هي فترة حكم "الناصر" أحمد ابن "الأشرف الثاني" إسماعيل، وقد حكم من سنة ٨٠٣هـ إلى سنة ٨٢٧هـ/ ١٤٠٠- ١٤٢٥م، ويعد هذا السلطان آخر سلاطين دولة بني رسول الكبار الذين حفظوا للدولة هيبتها وثبتوا دعائم الأمن والاستقرار فيها. للمزيد انظر ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، م.س، ص٤٧٠-٤٧٦، الكامل، موجز تاريخ اليمن في العصر الإسلامي حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، م.س، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٥٠) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد** م.س، ١٠١.

(٥١) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد** م.س، ١٠١.

(٥٢) الأهدل، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، م.س، ص٥٢٧.

(٥٣) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

وتتكرر مآسي ومعاناة المجتمع اليمني، ففي سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م حصل بمدينة زبيد وما يليها "**جوع عظيم، وغلاء شديد**"(٥٤)، لدرجة أن عوام سكان مدينة زبيد أصبحوا يسمون تلك السنة" **سنة الجوع**"(٥٥)، وبها يؤرخون، وهذا يدل على الضرر البالغ الذي لحق الناس فيها.

ثالثا: النتائج على المستوى الديموغرافي

يتضح من خلال المصادر المتوفرة بين أيدينا أن الكوارث الطبيعية المتعددة التي تحدثنا عنها قد أثرت على الوضع الديموغرافي في اليمن خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وأحدثت فيه نزيفاً مستمرًا. يذكر المؤرخ ابن الديبع في هذا الصدد أن الموت "**عم جميع البلدان**"(٥٦)، سنة ٨٣٧هـ/١٣٣م، وكثر المطر في مدينة زبيد ونواحيها وأحدث أضرارًا مادية كبيرة.

وعلى الصعيد ذاته تسببت كوارث الحريق المستمرة في أواخر عهد الدولة الرسولية إلى نزيف ديموغرافي كبير، فقد لاقى العشرات حتفهم في كل حادثة حريق، حيث ذكرت بعض المصادر موت "**جماعة من بني آدم**"(٥٧)، جراء الحريق الذي لحق مدينة زبيد في شوال سنة ٨٠٨هـ/ مارس ١٤٠٦م، كما أدى الحريق الكبير يوم الـ ٢٦ من شهر المحرم سنة ٨١٠هـ/ ٣ يوليو ١٤٠٧م، الذي تعرضت له مدينة زبيد إلى وفاة "**خلق كثير من بني آدم**"(٥٨).

ونتيجة للجدب والقحط وغلاء الأسعار الذي تعرضت له البلاد بين فترة وأخرى حدثت وفيات كثيرة، إذ تذكر بعض المصادر أن سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م عرفت غلاءً فضيعاً شمل سائر البلاد، أدى إلى موت كثيرٍ من ضعفاء الناس(٥٩).

وتسببت هبوب رياح عاتية في البحر سنة ٨٣٣ هـ/١٤٣٠م إلى وفاة القاضي عمر بن العلامة صفي الدين أحمد بن عبدالله الكاهلي أثناء سفره لأداء مناسك الحج(٦٠)، وفي شهر القعدة سنة ٨٣٣هـ/ يوليو ١٤٣٠م تعرض الركب الشامي في طريق الحجاز إلى "**ريح سموم هلك فيها أكثر الركب**"، حتى قيل إن عدد ضحاياه بلغ "**ثلاثة آلاف رجل**"(٦١).

---

(٥٤) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١١٦.

(٥٥) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١١٦.

(٥٦) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١٠٦.

(٥٧) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٤٤.

(٥٨) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٤٨.

(٥٩) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٦٠) البريهي، **طبقات صلحاء اليمن**، م.س، ص٩٥-٩٦.

(٦١) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص٢٣١.

وتذكر بعض المصادر غرق سفينة كاملة في شوال سنة ٨٥٧هـ/ اكتوبر ١٤٥٣م "**بين البقعة والحديدة، ولم ينج من أهلها أحد سوى البحارين، وامرأة واحدة**"(٦٢).

وأدت العواصف الرعدية والبرق إلى وفاة عدد من الناس؛ فالصواعق الشديدة والبرق التي حدثت سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م، كان من نتائجها أن لاقى الشيخ عبدالباقي الحبيشي حتفه مع جارية له وأحد خدمه(٦٣).

ومن ضروب معاناة المجتمع والتأزم الذي لحقه نتيجة الكوارث الطبيعية وما صاحبها من تغيرات مناخية...؛ فقد أثرت الكوارث والحوادث العظام التي عصفت باليمن في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي على حال الناس وزادت حياتهم سوءا، ومات كثير من الفقراء والضعفاء جرّاء تلك الأوضاع(٦٤)، ففي شهر ذي القعدة سنة ٨٣٣هـ/ يوليو ١٤٣٠م، أتت "**ريح سموم**" على الركب الشامي وهو في طريقه للحج، فهلك أكثر الركب وبقيت جثثهم وأموالهم ملقاة في العراء(٦٥)، وتعرض سكان مدينة زبيد سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، إلى جائحة مرض فتاك أقعد أسراً وبيوتًا بكاملها عن الحركة، لدرجة أنهم لم "**يجدوا من يسقيهم**"(٦٦)، وكثر "**المرض في الناس**"، ولاقى العديد من المرضى حتفهم، حتى تراوح عدد الأموات الذين يتم تشيعهم من أبواب مدينة زبيد يوميا "**ثلاثين ميتا، وأقل وأكثر**"(٦٧).

ونود التنويه إلى أنه من خلال تتبعنا للمصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم لم نجد أية إشارة تتحدث عن دور السلطات الرسمية للدولة الرسولية تجاه تلك الكوارث، وبالنسبة للمجتمع لا توجد نصوص واضحة تبرز دور المجتمع، باستثناء بعض الإشارات اليتيمة التي تتحدث عن قيام بعض الصالحين بكفالة وإطعام الفقراء والجوعى الذين تأثروا بالكوارث التي حلت بهم، ومن ذلك ما ذكره المؤرخ ابن الديبع عن دور الفقيه شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم بن عجيل الذي "**أطعم في أحد الليالي ثلاثة آلاف نفس**"(٦٨).

---

(٦٢) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١١٦.

(٦٣) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص٢٤٢.

(٦٤) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص١٦٨.

(٦٥) المؤلف المجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، م.س، ص٢٣١.

(٦٦) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١٠٦.

(٦٧) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد**، م.س، ص١٠٦.

(٦٨) ابن الديبع، **بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد** م.س، ١٠١.

ويخيل إلينا من خلال بعض الإشارات المصدرية أن المجتمع كان يلجأ إزاء تلك الكوارث إلى التضرع إلى الله تعالى برفع البلاء ودفع الضر، وقراءة القرآن الكريم، فقد أشارت بعض الروايات في هذا الصدد إلى أن مدينة عدن عندما ضربتها عدة زلازل في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي؛ توجه الناس "**إلى تلاوة القرآن وقراءة البخاري من حديث رسول صلى الله عليه وسلم**"(٦٩)، كما ذهب بعضهم إلى تفسير حدوث بعض الكوارث الطبيعية التي حدثت سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٣م، بإنها علامة أو آية من آيات قرب الساعة(٧٠).

الخاتمة

تأسيسًا على كل ما سبق من محاور البحث وفقراته المتعددة، توصلنا إلى ما يأتي:

أولاً: تنوع وتعدد الكوارث الطبيعية التي أصابت اليمن بدءًا من النصف الأول من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي حتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م.

ثانياً: اتضح أن كارثة الأمطار المدمرة والسيول الناجمة عنها، كانت الأكثر ضرراً، تليها كوارث الجدب والقحط والمجاعات، تليها كوارث الزلازل والهزات الأرضية العنيفة والبراكين، فضلا عن هبوب الرياح والعواصف الشديدة، وما نتج عنها من حوادث الحريق والغرق والبرق وغيرها من الكوارث.

ثالثاً: حازت مدينة زبيد ونواحيها في تهامة المرتبة الأولى بين المناطق اليمنية في نسبة الخراب والدمار والأضرار جراء تلك الكوارث، تليها بقية مدن ومناطق اليمن.

رابعاً: أدت الكوارث الطبيعية التي تعرض لها اليمن بدءًا من النصف الأول من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي حتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م إلى نتائج كارثية وسلبية على المجتمع اليمني على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والديموغرافية.

خامساً: اتضح غياب الدور الرسمي وسلبيته في التعاطي مع تلك الكوارث سواء في مجابهتها، أو في محاولة التخفيف من نتائجها وآثارها على الناس، بينما اكتفى المجتمع والأهالي بالدعاء والتضرع إلى الله عقب كل كارثة من تلك الكوارث والنوازل.

---

(٦٩) الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، الجزء الثاني، م.س، ص١٦٣، اسكندر (سعيد ناجي غالب): **الكوارث الطبيعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية (القرن ٨هـ/١٤م نموذجا)**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، المجلد (١٢)، العدد (٣)، ديسمبر ٢٠٢١، ص١٢٦.

(٧٠) ابن الديبع، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، م.س، ص٤٨١.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

الأهدل، (الحسين بن عبدالرحمن ت ٨٥٥هـ)، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، الطبعة الأولى، صنعاء، ٢٠١٢.

البريهي، (عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي ت ٩٠٤هـ): طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤.

الشرجي، (أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الزبيدي ت ٨٩٣هـ): طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع+ دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

الخزرجي، (علي بن الحسن ت ٨٠٣هـ)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الجزء الثاني، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

ابن الديبع، (أبي الضياء عبدالرحمن بن علي ت ٩٤٤هـ)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.

ابن الديبع، (أبي الضياء عبدالرحمن بن علي ت ٩٤٤هـ)، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثانية، صنعاء، ٢٠٠٦.

مجهول، مؤلف مجهول عاش في القرن التاسع الهجري، تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، الجيل الجديد، صنعاء، ١٩٨٤.

ثانياً: المراجع

الكامل (محمد أحمد)، موجز تاريخ اليمن في العصر الإسلامي حتى نهاية عهد الدولة الطاهرية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

هُديل، (طه حسين)، التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية وأثرها في الحياة العامة في اليمن، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

ثالثا: الدوريات والمجلات العلمية

اسكندر(سعيد ناجي غالب)، الكوارث الطبيعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية (القرن ٨هـ/١٤م نموذجا)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، المجلد (١٢)، العدد (٣)، ديسمبر ٢٠٢١.

رابعا: الأطروحات الجامعية

سعيد (محمد)، الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول(٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، جامعة تونس الأولى، العام الجامعي١٩٩٧-١٩٩٨.